مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ
الأمانَةِ العامّةِ للعَتَبةِ الْحُسَيْنيّةِ الْمُقدّسَة
مُؤسّسَة عُلوم نهج البَلاغَة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السّنة الرابعة– العدد الثامن
شهر شعبان ١٤٤٠هـ– نيسان ٢٠١٩م

نظام الترابط الحجاجي في خطاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

Argumentation coherence system in Imam Ail Ibn Abi Talib (peace be upon him) speech.

أ. م. د. حامد بدر عبد الحسين

م. م.حسن رحيم حنون

كلية الدراسات القرآنية- جامعة بابل

Asst. Prof. Dr. Hamed Badr Abdul Hussein

Asst. Lectur. Hassan Rahim Hanoun

College of Quranic Studies- University of Babylon

ملخص البحث

هذا البحث يدرس نظام الترابط في خطاب الإمام علي (عليه السلام)، الذي تحدده مجموعة من الشروط والعلاقات والأحداث، ومع الحجاج يشكل تعالق وتناسق، إذ لا يقتصر دلالة عملهم على أجزاء من الخطاب فحسب، بل يكون أشمل وأعم، إذ يشكل شبكة من التلائم على مساحة الخطاب، فالحِجاج اللغوي عند ديكرو يعد توجيه صرف، تفضحه البنية اللغوية المجردة، وإن تصريف المتكلم لملفوظه يتم عبر روابط حجاجية؛ لذلك تتجه هذه الدراسة إلى إبراز دور الوظيفة الحجاجية لخطاب الإمام علي (عليه السلام) على أساس أن ما من ملفوظ إلا وله موجه نحو نتيجة معينة؛ لأن بنية الحجاج تعد أكثر بنية يمكن الاشتغال عليها في الخطاب لما فيها من قضايا مطروحة على سبيل إلقاء الحجة وتأكيد المطلب، ولما كان الحجاج مجاله الخطابة أو هو أقرب إلى الخطابة، كان الغرض من هذا البحث إبراز المقصود الحجاجي في خطاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، من هنا، سيكون هذا البحث محاولة للكشف عن الروابط الحجاجية في خطاب الإمام(عليه السلام)، وقسم البحث على مقدمة وأربعة أنواع من الروابط وهي: روابط التعارض الحجاجي، روابط التساوق الحجاجي، روابط التعلُّل الحجاجي، روابط العطف الحجاجي.

Abstract

This research studies coherence system In Imam Ali speech which determined by a series of conditions, relations and events. And with argumentation forms correlation and harmonization. Their work significance is not limited to parts of the speech but it is more comprehensive and general. It is a web of appropriateness through the whole speech. linguistic argumentation according to ducrot is a pure linguistic research revealed by linguistic structure the speaker discharging his words is done through argumentative links. There for this study tends to highlight argumentative function role for Imam Ali speech based on that there is on spoken without having particular targeted result. Since argumentation considered as most struck true we can work on in speech. with its Issues as a matter of giving argument and reiterating the request. Since argumentation filed is speech or is closer to speech. the purpose of the research was to highlight the argumentative intended in Imam Ail speech. accordingly the research will be an attempt to reveal argumentative in Imam Ali speech. the research divides into introduction and four kinds of links:

Argumentative inconsistency links, argumentative consistency links, argumentative explaining links and argumentative conjunction links.

المقدمة (مدخل نظري لروابط الحجاج)

الحجاج نظرية لسانية تهتم بالوسائل، والإمكانات اللغوية التي تمدنا بها اللغات الطبيعية لتحقيق بعض الأهداف والغايات الحجاجية فهي تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، فالجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات أو صيغ تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول يضاف إلى محتواها الإخباري، وتوجيه المتلقي بهذا الاتجاه أو ذاك، ويزيد على ذلك إن الحجاج يشكل جانبًا مهمًّا في المسار اللساني، ومن المداخل المهمة في مقاربة النصوص ذات الصبغة الإقناعية.

إن البعد الحجاجي والتداولي للروابط برز مع ديكرو في إطار صياغته للتداولية المدمجة وهي النظرية التداولية التي تشكل جزءًا من النظرية الدلالية، إذ لم يغفل ديكرو وزميله في أثناء صياغتهما لـ (النظرية الحجاجية في اللغة)، هذا الجانب المهم الذي تمركز في أبنية اللغة بوصفها ظاهرة لغوية مهمة جدا تتدخل بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب والدفع باتجاه تحقيق البعد الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم.

أبان أبو بكر العزاوي الروابط الحجاجية بقوله: تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دورًا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة[1]، وصنفها إلى:

- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...).
- الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، بالتالي...).
- الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما...).

- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...).
- روابط التساوق الحجاجي(حتى، لاسيما).

أولًا: روابط التعارض الحجاج:

الرابط الحجاجي (لكن)

تربط لكم بين حجتين متفاوتين وتفيد معنى الاستدراك وتعني في النحو العربي «أن تنسب حكما يخالف المحكوم عليه قبلها كأنما لما أخبرت عن الأول بخبر، فخفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره إن سلبا وإن إيجابا، ولذلك لا يكون إلا بعد ملفوظ به، أو مقدر[٢]، ولا تقع لكن إلا بين متنافيين بوجه واحد، و عرف عباس حسن الاستدراك، إنه إبعاد معنى فرعي يخطر على البال عند فهم المعنى الأصلي لكلام مسموع أو مكتوب[٣]، وتقوم لكن «بإزالة الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بسببه، وهو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي»[٤].

ويتم الوصف الحجاجي للرابط (لكن) الذي يعبر عن التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها، إذ يقدم المتكلم (أ) و(ب) بوصفهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي (لا- ن)، ويقدم المتكلم الحجة الثانية، بوصفها الحجة الأقوى، توجه القول الأول للخطاب برمته[٥]، ولقد ميز ديكرو وأنسكومير، في دراستهما العديدة للرابط (لكن).

ومن ذلك قول الإمام علي(عليه السلام): «فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ اَلْحِجَابُ وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ وَهُدِيتُمْ إِنِ

اِهْتَدَيْتُمْ وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ اَلْعِبَرُ وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ اَلسَّمَاءِ إِلاَّ اَلْبَشَرُ».

نلاحظ إن الرابط الحجاجي (لكن) قد عمل تعارضا حجاجيا بين ما تقدمه وما تأخر عنه، فالقسم الأول الذي سبق الرابط هو «فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ وَ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ»، إذ كما هو شأن الأنبياء والأولياء، فإنهم بسبب علمهم واطلاعهم على ذلك العالم كانوا يبكون ذلك البكاء الشديد، ويبيتون ليلهم خائفين وجلين، ويسهرون الليل بالبكاء والتضرع والناس لو كانوا يعلمون ذلك لما وجد إنسان عاصي، قد تضمن حجة تخدم نتيجة ضمنية هي (عدم معاينتهم)، أما القسم الثاني، الذي جاء بعد الرابط فقد تضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا- ن) ليرفع التردد لدى المتلقي بواسطة الاستدراك الذي لا يعني إبطال الحجة الأولى وإنما هو إعادة التصحيح ما قد توهم به المتلقي أو تردد بقبوله وهذا ما تشير إليه الحجة الثانية بعد الرابط «مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا وقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ اَلْحِجَابُ» التي تضمنت نتيجة ضمنية (محجوبة عنكم وغير محجوبة عن الراسخين في العلم)، ثم جاء الرابطان (الواو، إن) للربط بين أكثر من قضية وحجة غير متباعدين ليقررا الرابط بين الحجج التي جاءت بعد (لكن) «وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ اَلْحِجَابُ وَ لَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ أُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ وَ هُدِيتُمْ إِنِ اِهْتَدَيْتُمْ وَ بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ اَلْعِبَرُ وَ زُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَ مَا يُبَلِّغُ عَنِ اَللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ اَلسَّمَاءِ إِلاَّ اَلْبَشَرُ»، وهنا تكون الحجة بعد الواو دعمت النتيجة المتعلقة

بالحجة الثانية.

إن الرابط الحجاجي كشف عن استدلالات حجاجية أخرى:

١. إن التراتيب الحجاجية التي أوجدها الرابط (الواو) إلى الحجج قد أثبت قوة النتيجة (لو عاينتم/ محجوب عنكم) ثم جاء الرابط (إن) لإثبات قوة الحجة التي تلته مع الحجة التي سبقته.

٢. إن الروح إذا خرجت من البدن، وطارت من قفص الجسد ظهر لها كل ما كان محجوبا مخفيا لهذا قال (عليه السلام) «وقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ اَلْحِجَابُ» نستخلص نتيجة ضمنية وهي لو كان الناس كلهم يعلمون ويطلعون على ذلك العالم لاختل النظام الاجتماعي، ولما زرع الزارع، وما اتجر التاجر، وصارت الأشغال معطلة والحالة مضطربة.

فالغاية التي أراد الإمام(عليه السلام) توضيحها تكمن في القسم الثاني من كلامه، فإن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فهي ستواجه القول برمته نحو تبني النتيجة الضمنية المضادة (لا-ن)، فالإمام (عليه السلام) يعلم بعذاب القبر فهذا الأمر غير محجوب عنه ولكن محجوب عن الآخرين، لذلك الحجة الثانية (ب) أقوى من الحجة الأولى (أ).

ومن أمثلة ما جاء فيه الربط كلام له (عليه السلام) لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته: «لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ اَلصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ اَلذَّلُولُ وَ لَكِنِ اِلْقَ اَلزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ اِبْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا»، فالحجة الأولى في قوله(عليه السلام) (لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ...) وهي حجة لا تكفي لحصول الإقناع لدى المتلقي ظاهرًا، فقد نهى الإمام (عليه السلام)

ابن عباس أن يلقى طلحة، فأخبر أنه كالثور الملتوي قرنه، أو الثور الذي يرخي رأسه ويطأطأه، فيعقص قرنيه استعدادا للخصومة والمحاربة، وهذه اشارة إلى استعداده للشر بجميع معنى الكلمة، وأما قوله (عليه السلام): يركب الصعب: هو الذلول، فمعناه الاستهانة بالأمور المستصعبة، والتهور في الإقدام والمجازفة في الأعمال، وشراسة الأخلاق وأمثال هذا الشخص لا ينفع معه الكلام لغروره، وإعجابه بنفسه، ولهذا نهى أمير المؤمنين (عليه السلام) ابن عباس أن يتفاهم مع طلحة.

ثم جاء الرابط لرفع التردد والتوهم لدى المتلقي في قبول كلامه بما تضمنته الحجة الثانية «اِلْقَ اَلزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً»، من قوة تفوق الحجة الأولى ومؤدى هذه القوة الرابط (لكن) الذي أفاد الاستدراك لإبانة القصد من نهي ابن عباس عن لقاء طلحة، وأمره أن يلقى الزبير، لأنه يمكن التفاهم معه؛ لأنه لين الطبيعة والجانب ينفع معه الكلام، ثم جاء تدعيم قوة الحجة الثانية بقوله: «يقول لك ابن خالك» أي الإمام نفسه، وإنما قال: ابن خالك ولم يقل: يقول لك علي أو أمير المؤمنين أو أبو الحسن لما في هذه الكلمة من الاستمالة والاذكار بالنسب والرحم، ولا يخفى ما فيها من الملاطفة، والتأثير في القلب و النفس.

الرابط الحجاجي (بل)

أداة ربط بين قولين ومعناها الإضراب عن الأول والإثبات للثاني، ويتحدد دورها في الربط نفيا أو إيجابا حسب السياق الذي ترد فيه[٦]، فهي تأتي «لتدارك كلام غلط فيه وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ غيره»[٧]، فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج، ولهذا

الرابط حالان:

الأول: أن يقع بعده مفرد.

الثاني:.أن يقع بعد جملة.

فإن وقع بعده مفرد فله حالان:

- إن تقدمه أمر أو إيجاب نحو: (إضرب زيدا بل عمرا) و(قام زيد بل عمرو) فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه، ولا حكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده.

- وإنْ تقدمه نفي أو نهي نحو: (ما قام زيد بل عمرو) و(ولا تضرب زيدا بل عمرا) فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده أي إثبات الثاني ونفي الأول.

أما إذا وقع بعد (بل) جملة، فيكون معنى الاضراب:

- إما الإبطال نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ المؤمنين: ٧٠.

- وإما الانتقال من غرض إلى غرض[٨] نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى(١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الأعلى: ١٤- ١٦.

ومما جاء من ذلك في خطاب الإمام(عليه السلام) قوله: «فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى اَلْمُلْكِ وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ اَلْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اَللَّتَيَّا وَاَلَّتِي وَاللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ اَلطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ بَلِ اِنْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمْ اِضْطِرَابَ اَلْأَرْشِيَةِ فِي اَلطَّوِيِّ اَلْبَعِيدَةِ».

وردت (بل) في هذه القول وهي من النمط الحجاجي الذي أفاد الاعتراض فقد توسطت بين حجتين فما تقدمها كان منفيا في حين جاءت الحجة التي تلتها مثبتة وبذلك يكون الرابط، قد أقام علاقة حجاجية بين نفي احتمال حصول (حرص الإمام على الملك، أو الجزع من الموت)،

فالإمام (عليه السلام) أقسم بالله تعالى أنه أشد أنسا بالموت من الطفل بثدي أمه، لأن محبة الطفل وميله إلى ثدي أمه أمر طبيعي حيواني فهو في معرض الزوال، يعني إذا كبر الطفل وتجاوز سن الرضاع يزول ذلك الأُنس، ولكن أنس علي (عليه السلام) بالموت لا يزول مهما عاش، وبين إثبات حقيقة سكوتة وعدم نهوضه بحقه وهو أنه احتوى على علم واطلاع ببعض الأسرار التي أخبره بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يتعلق بالخلافة، وهي من علوم الإمامة ومزاياها، ولا يشاركه فيها أحد من غير الأئمة ولا يستطيع أحد أن يسمع أو يطلع على شيء من تلك الأسرار ولا يتمكن أن يتحملها (لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة) لو باح أو أظهر شيئا من تلك الأسرار لاضطربت قلوب الناس كما تضطرب الحبال في الآبار العميقة، وذلك لضعف القلوب وعدم استعداد النفوس.

ولعل الاستدراك الذي اتى به الإمام (عليه السلام) يكشف تكذيب قول من ينسب إليه الخوف من الموت، أو الحرص على الملك، أي بعد تلك المصائب والنوائب التي جرت عليَّ لا أخاف من الموت، بل الموت أحب إلي من البقاء، وهذا شأن الرجال الغيارى أنهم يرجحون الموت على الحياة المملوءة بالفجائع والفضائع، وهنا النتيجة المضادة الضمنية قد وجهت القول برمته نحو إقامة الحجة والبينة على (من ينتسب له الخوف أو الموت).

وورد أيضا الرابط الحجاجي (بل) في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، قوله: «مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ اَلْكُوفَةِ جَبْهَةِ اَلْأَنْصَارِ وَسَنَامِ اَلْعَرَبِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ

عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ إِنَّ اَلنَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ اَلْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اِسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ عِتَابَهُ وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ اَلْوَجِيفُ وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا اَلْعَنِيفُ وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ قَتَلُوهُ فَقَتَلُوهُ وَبَايَعَنِي اَلنَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ وَاِعْلَمُوا أَنَّ دَارَ اَلْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا وَجَاشَتْ جَيْشَ اَلْمِرْجَلِ وَقَامَتِ اَلْفِتْنَةُ عَلَى اَلْقُطْبِ فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ إِنْ شَاءَ الله».

فالرابط هنا أقام علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين بين الحجة الأولى التي وردت قبل الرابط الحجاجي (بل) وهي «وَبَايَعَنِي اَلنَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ» التي تحيل إلى نتيجة ضمنية (فالإمام (عليه السلام) لم يكره أحدا على البيعة)، وعلاقة حجاجية ثانية ترد بعد الرابط (بل)، (طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ) فهي تحمل نتيجة ضمنية مضادة للنتيجة السابقة (بل ألجأوه (عليه السلام) إلى البيعة معه، وكانت رغبتهم في بيعته) كما وصفها خفاف الطائي لمعاوية قال: (تهافت الناس على عليّ (عليه السلام) بالبيعة تهافت الفراش، حتّى ضلّت النعل، وسقط الرداء، وطىء الشيخ)، فالرابط الحجاجي (بل) قد ربط بين الحجج والنتائج وأصبحت النتيجة الضمنية المضادة هي نتيجة القول برمته؛ لأن الحجة التي ترد بعد (بل) أقوى من الحجة التي ترد قبلها في إفادة المعنى الكلي وإقامة الحجة؛ لأن الإمام(عليه السلام) في الرسالة وضح لأهل الكوفة براءته من مقتل عثمان، ويدعم ذلك عندما بعث عمار والحسن (عليهما السلام) إلى الكوفة (فبعث عمّارا والحسن عليهما السلام وكتب معهما كتابا: أمّا بعد، فإنّ دار الهجرة تقلّعت بأهلها فانقلعوا عنها، وجاشت

جيش المرجل، وكانت فاعلة يوما ما فعلت، وقد ركبت المرأة الجمل، و نبحتها كلاب الحوأب، وقامت الفئة [الفتنة] الباغية يقودها [رجال] يطلبون بدم هم سفكوه، وعرض هم شتموه، وحرمة انتهكوها، وأباحوا ما أباحوا، يعتذرون إلى الناس من دون الله يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين، اعلموا رحمكم الله أنّ الجهاد مفترض على العباد، فقد جاءكم في داركم من يحثّكم عليه، ويعرض عليكم رشدكم، والله يعلم أنّي لم أجد بدّا من الدخول في هذا الأمر).

وإن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يمتنع من بيعة النّاس له فيختبىء عنهم ويلوذ بحيطان المدينة، ولما اجتمع النّاس إليه وسألوه أن ينظر في أمورهم وبذلوا له البيعة قال لهم: التمسوا غيري، ولمّا جاء طلحة والزبير إليه (عليه السلام) وهو متعوّذ بحيطان المدينة فدخلا عليه و قالا له: ابسط يدك نبايعك فإنّ النّاس لا يرضون إلا بك، قال (عليه السلام) لهما، لا حاجة لي في ذلك وأن أكون لكما وزيرا خير من أن أكون أميرا فقالا إن الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أوّل النّاس، وعلى هذا الأساس جاءت الحجة الثانية بعد الاستدراك تنفي حصول البيعة بالإجبار أو الإكراه في الحجة الأولى، ومعلوم أن الاستدراك يقتضي أن يقع بين متنافيين أو متضادين أو متناقضين، وبما أن الجملة التي سبقت الرابط هي جملة أو قول مثبت فإن ما بعد الرابط يكون منفيًا أو مضادًا أو مخالفًا وهو ما أفاد القول (طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ)، ويدعم الحجة الثانية هو قوله لطلحة (أو لم تبايعني يا أبا محمّد طائعا غير مكره؟ فما كنت

لأترك بيعتي: قال طلحة: بايعتك و السيف على عنقي، قال :ألم تعلم أني ما أكرهت أحدا على البيعة؟ ولو كنت مكرها أحدا لأكرهت سعدا وابن عمر... واعتزلوا فتركتهم...).

ثانيا: روابط التساوق الحجاجي:

الرابط الحجاجي (حتى)

تعد من الأدوات الفاعلة في الترابط حيث يكمن دورها في ترتيب عناصر القول، ويفهم معناها من السياق الذي ترد فيه، ويكتسب هذا الرابط أهميته من علاقته الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمر، إذ أن دورها لا يقتصر كما لو نقول (جاء زيد) فتكون (حتى زيد جاء) إذا، على إضافة معلومة جديدة إلى سياق القول بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة ترد الحجة التي كان مجيء زيد كثيرًا متوقعًا، بل تسبقها وتساوقها والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة[٩] من حيث القوة الحجاجية فتتساوق الحجتان في رفد النتيجة بالطاقة الحجاجية الفاعلة، ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط (حتى) هي أقوى من الحجة التي سبقتها، أي أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها، إذ يقول ديكرو إن: «الحجة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى لذلك فإن القول المشتمل على الرابط حتى لايقبل الإبطال والتعارض الحجاجي»[١٠].

فالرابط (حتى) الملفوظ يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة بل إنه قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى النتيجة وهو في أثناء ذلك كله يُقوِّي النتيجة لا التي يروم الملفوظ إيصالها[١١].

ومما جاء ممثلًا عن هذا الرابط

قول الإمام علي(عليه السلام): «الكمالُ في خمس: ألاّ يَعيبَ الرجلُ أحداً بِعَيبٍ فيه مِثلُه حتّى يُصلِحَ ذلك العَيبَ مِن نفسه...»، نلحظ إن الرابط (حتى) بالرغم من تنوع الغايات الاستعمالية له في هذا المثال التي تتجلى لنا نتيجة لتعدد زوايا النظر والقراءة له، فهو جاء من أجل تحقيق غاية حجاجية إقناعية، فجاء لبيان سبب، أي إن ما قبله علة وسبب وحجة لما بعده فيكون مرادفا لـ (كي) التعليلية فيكون الكلام (الكمال في خمس ألا يعيب الرجل أحدا بعيب فيه مثله كي يصلح ذلك العيب من نفسه)، وهنا يمكن أن نعد ما قبله حجة وما بعده نتيجة، فالإمام (عليه السلام) يقدم حجة بأن لا يعيب الرجال أحدًا كي يصلح ذلك العيب، فيقدم الإمام (عليه السلام) حديثًا في التربية الإنسانية.

ومن صور استعمال (حتى) قال (عليه السلام): «لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ اَلنَّخَعِيِّ يَا كُمَيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ اَلْمَكَارِمِ وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ اَلْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلاَّ وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ اَلسُّرُورِ لُطْفا فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي اِنْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ اَلْإِبِلِ».

نرى الرابط الحجاجي (حتى) يقدم حجتين: الأولى «جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي اِنْحِدَارِهِ»، والثانية «حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ اَلْإِبِلِ»، وهاتان الحجتان تخدمان النتيجة الضمنية (من عمل لخدمة أخيه الانسان أثابه اللهّ في الدنيا قبل الآخرة)، فالنتيجة الثانية هي الأقوى، وعن أهل البيت (عليهم السلام): «إن للهّ عرشا لا يسكن تحت ظله إلا من أسدى لأخيه معروفا، أو نفّس عنه كربة، أو قضى له حاجة».

فالخاصية الأساسية للروابط

الحجاجية سليمة وتراتبية وسبب نعتها بهذه الصفة إنما يوفره الرابط الحجاجي من تقوية للحجة حتى يجعلها غير متساوية قوة وضعفا وتأثيرا وإقناعا ومن ثم يكون هذا الرابط هو المحرك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ وداخل القسم الحجاجي[١٢]، فالرابط الحجاجي (حتى) يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنتيجة، ويرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه إن يقطعه للوصول إلى النتيجة[١٣]، وما يؤازر النتيجة الضمنية من قول الإمام (عليه السلام) قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «مَا مِنْ عَبْدٍ يُدْخِلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ مُؤْمِنٍ سُرُورًا إِلَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ خَلْقا يَجِيئُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شَدِيدَةٌ يَقُولُ: يَا وَلِيَّ اللهِ لَا تَخَفْ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ لِي مَا رَأَيْتُهَا لَكَ شَيْئا فَيَقُولُ أَنَا السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتَ عَلَى آلِ فُلَانٍ».

ثالثا: روابط التعليل الحجاجي:

الرابط الحجاجي (لأنَّ)

يعد الرابط (لأن) من أهم ألفاظ التعليل والتفسير وهو يستعمل لتبرير الفعل ولتبرير عدمه، فضلا عن ربط النتيجة بسببها وبعلتها.

وقد جاء هذا الرابط في كلام له (عليه السلام) عند عزمه على المسير إلى الشام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبا وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفا».

فالقسم قبل الرابط: ق١ (اللهم أنت الصاحب في السفر) ق٢، (وأنت الخليفة في الأهل)، والمعنى ليس لله زمان ومكان، فهو مع المسافر تماما كما هو مع المقيم على

السواء (ولا يجمعهما غيرك)، بحيث يكون مصاحبا للمسافر، وخليفة على المقيم في آن واحد هذا محال بالنسبة لغيره تعالى، أما القسم بعد الرابط يتضمن، ق٣ «لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبا» ق٤ «وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفا» والمعنى (الباقي مع المقيم مصاحبٌ للمسافر ولا يكون حاضرا مع المقيم)، استحضر الإمام (عليه السلام) الرابط (لأن) الذي أعطى دلالة التعليل والتفسير، فالحجة الأقوى (ق٣/ ق٤)؛ لأنها أثبتت كلام الإمام(عليه السلام) حول قدرة الله وكانت مصداقا له أمام القوم وهي الأقرب للنتيجة الضمنية، وهي (قدرة الله وعظمته وإنه مع العبد أينما كان): بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد ٤.

الرابط الحجاجي (اللام):

تعد من أدوات الربط الحجاجي التي يكون ما بعدها علة لما قبلها ويطلق عليها لام التعليل، ولام السبب، ولام كي، ويذكر المرادي «أن معنى اللام، في الأصل، هو الاختصاص، وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معان أخر، وإذا تُؤملت سائر المعاني المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص. وأنواع الاختصاص متعددة؛ ألا ترى أن من معانيها المشهورة التعليل...»[١٤].

خطاب الإمام (عليه السلام) يتضمن صورا متنوعة للرابط (اللام) منها الجارة بمعنى التعليل نحو قوله (عليه السلام): «إِنَّ لله عِبَادًا يَخْتَصُّهُمُ الله بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ».

اشتمل النص المتقدم على أكثر من حجة وهي: ق١ (منافع العباد)، وق٢ (فيقرها في أيدهم)، وق٣ «فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا

إِلَى غَيْرِهِمْ» والحجة الأقوى هي (ق)٣ وهي أقرب للنتيجة الموجودة في النص (يختصهم الله بالنعم)، والحجة في ق٣ جاءت تعليلا وتبريرا للنتيجة المصرح بها قبل الرابط، فأحدث الرابط انسجاما بين النتيجة والحجج، وعليه يكون المعنى، إن حكمة الله سبحانه قضت أن يتخذ من بعض عباده وسيلة للبذل في سبيل الخير، فإن فعلوا أبقى النعمة بأيديهم، وإلا نقلها الى من هو أولى، وأجدر، وقريب إلى ذلك قوله (عليه السلام): «إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ»، و«فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ».

ونعثر على صورة أخرى لـ (لام التعليل الناصبة) التي «تنصب الفعل المضارع وقد قال بها الكوفيّون، أما البصريّون، فهي عندهم لام جر والناصب (أن) المضمرة بعدها»[١٥]، من ذلك قوله(عليه السلام): «وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ».

نلحظ الرابط الحجاجي جاء بعد التصريح بالنتيجة، (أمرك أن تسأله)، (وتسترحمه) والحجة يعطيك ويرحمك، فجاء الرابط بعد النتيجة مباشرا لتعليل الكرم والعطاء الإلهي للعباد، فالرابط أحال المعنى برمته إلى فعل الأمر والسؤال، فجاءت الحجة جوابا له، ليكشف الرابط قوة التماسك بين الحجج.

الرابط الحجاجي (كي):

«إنّ (كَيْ) حرفٌ يُقارِب معناه معنى اللام؛ لأنها تدلّ على العلّة والغرض، ولذلك تقع في جوابِ

(لِمَهْ)، فيقول القائل: لِمَ فعلتَ كذا؟ فتقول: ليكونَ كذا. وهذا المعنى قريبٌ من قولك: فعلت ذلك كَيْ يكونَ كذا؛ لدلالتها على العلّة، إلّا أنّها تستعمل ناصبة للفعل كـ (أنْ)، فلذلك تدخل عليها اللام، فتقول: جئت لِكَيْ تقومَ، كما تقول: لأنْ تقومَ»[١٦]، ويستعمل هذا الرابط لتفسير العلة وتبريرها وبيان الحجة وتوكيد النتيجة، ويستعمل كرابط مدرج للنتائج.

وقد جيء بالرابط (كي) في كلام له (عليه السلام) بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه: «فَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ قَالَ وَمَا لَهُ قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا قَالَ عَلَيَّ بِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ يَا عُدَيَّ، نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ أَ مَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ قَالَ وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ».

النتيجة: إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ.

الرابط: كيلا.

الحجة: يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.

ففي هذا النص يتجلى لنا إن النتيجة فسرت وعللت الحجة ثم جاء الرابط الحجاجي (لكي) ليؤكد النتيجة، ثم يعمل الرابط الحجاجي على تدريج النتائج، فيكون المعنى: أَئِمَّةِ الْعَدْلِ يساووا أنفسهم بضعفاء الناس، فيكونوا قدوة للأغنياء كيلا يهيج بالفقير ألم الفقر فيهلكه، وندعم حجة الإمام (عليه السلام) بقوله:

«إنَّ اللهَ جَعَلَني إماما لِخَلْقِهِ، فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْديرَ في نَفْسي ومَطْعَمي ومَشْرَبي ومَلْبَسي كَضُعَفاءِ النّاسِ، كَيْ يَقْتَديَ الفقيرُ بِفَقْري، ولا يُطْغِيَ الغَنِيَّ غِناهُ»، وقال علي (عليه السلام): «إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني، ولا يزري بالفقير فقره».

رابعًا: روابط الوصل الحجاجي.

للوصل علاقة منطقية تتمثل في تكوين قضية مركبة انطلاقا من قضيتين، ويطلق فان دايك على روابط الوصل (روابط الوصل التشريكي)، «فهي تقوم بتكوين جملة مركبة من جمل بسيطة، وعلى ذلك فعمل هذه الروابط هو حصول الإجراء الثنائي»[١٧] فالوصل الحجاجي يتشكل من أدوات توفرها اللغة للمرسل ليربط بين مفاصل الكلام، فيتأسس بذلك العلاقات الحجاجية المنتظرة، فحروف العطف (الواو، الفاء، ثم) لها قيمة حجاجية كبيرة، بالإضافة إلى ربطها بين قضيتين أو أكثر (حجتين أو أكثر) لنتيجة واحدة، ووضعها سلما حجاجيا ترتب فيه هذه الحجج حسب قوتها[١٨].

الرابط الحجاجي (الواو)

وظيفة هذا الرابط الجمع بين حجتين ويعمل على ترتيب الحجج وربط بعضها ببعض وتقويتها، فالواو تنهض بوظيفة الجمع بين حكمين متطابقين عكس «بل» مثلا التي تنفي مايسبقها وتثبت مايلحقها، فإن ابن يعيش اعتبر ميزة الواو في جمعها بين شيئين[١٩] ومن ذلك كلام له (عليه السلام) لما عزم على لقاء القوم بصفين: الدعاء: «وتضمن خطاب الإمام (عليه السلام) هذا الرابط في خطبة، لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان، إذ قال: «دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ

وَأَلْوَانٌ لاَ تَقُومُ لَهُ اَلْقُلُوبُ وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ اَلْعُقُولُ وَإِنَّ اَلآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَاَلْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَاِعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ اَلْقَائِلِ وَعَتْبِ اَلْعَاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا».

إن البحث في هذا النص يبين لنا عمل الرابط الحجاجي، إذ قام بالوصل بين الحجج وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها وهي «دَعُونِي وَ اِلْتَمِسُوا غَيْرِي»، فكونه وزيرا لهم خيرٌ لهم من إمارته، لأنّ بإمارته كانوا يخرجون عليه فيكفروا، فالكثيرون صاروا بسبب إمارته (عليه السلام) في غاية الخزي والشقاوة، والمخاطبون بهذا الخطاب الطّالبون للبيعة بعد قتل عثمان يطمعون منه (عليه السلام) أن يفضّلهم في العطاء والتشريف ولذا نكث طلحة والزبير بيعته، ونقموا عليه التسوية في العطاء.

ثم نجد أكثر من حجة في هذا الخطاب وهي: ق١ «أَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً»، ق٢ «وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ»، ق٣ «وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ»، ق٤ «وَاِعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ اَلْقَائِلِ وَعَتْبِ اَلْعَاتِبِ»، ق٥ «إِنَّ اَلآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَاَلْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ»، ق٦ «وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ اَلْعُقُولُ»، ق٦ «أَلْوَانٌ لاَ تَقُومُ لَهُ اَلْقُلُوبُ»، ق٧ «فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ»، فالربط بين الحجج قد انتهى إلى سلمية تدريجية باتجاه الحجة الأقوى، ثم باتجاه النتيجة، وهنا تتضح أهمية الروابط الحجاجيّة، إذ تدخل في إطار كيفية تجاوز مضمون الخطاب

الثابت، حيث لا تكتفي بنظام اللغّة في الخطاب والتواصل فقط، وإنّما تفرض قيودا دلاليَّة على التأويل[٢٠].

الرابط الحجاجي (ثم)

إنها روابط الحجاج تفيد الترتيب، وتدل على أن الثاني بعد الأول وبينهما مهلة، ومما ورد في خطاب الإمام (عليه السلام) ممثلًا عن هذا الرابط، قوله (عليه السلام): «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِما».

وقد فصل القول في هذا النص الشريف الرضي إذ يقول: قال الإمام هذا لابن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن سأله مثل ذلك من قبل، وقال الشيخ محمد عبده: (كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة، وينادون به، وعثمان محصور، فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع، وكان فيها رزق لأمير المؤمنين، فخرج ثم استدعاه لينصره فحضر، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية، لذلك نستجلي مجيء الحجج المتتالية والمرتبة، ذات التنسيق المنسجم مع المقاصد المبتغاة من النص، فقد أفادت (ثم) في إقامة التراتبية في عرض الحجة، فالرابط الحجاجي دل على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقد جاء هذا الرابط في نص آخر للإمام (عليه السلام)، إذ قال: «إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَدا يَجْرُونَ فِيهِ وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ»، وقد قال الشريف في هذا النص: والمرود هنا مفعل من الإرواد وهو الإمهال والإظهار وهذا من أفصح

الكلام وأغربه فكأنه (عليه السلام) شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها، فالسياق الذي ورد فيه الرابط يدل على المهلة والتراخي، وإعطاء المهلة، وعلى هذا المعنى جاءت الحجج متراخية متباعدة زمنيا، منها حجة (الإخبار بالغيب الصريح)، وهذه من كرامات الإمام (عليه السلام)، وحجة «**كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ**»، أي لو حاربتهم الضباع من دون الأسود لقهرتهم، وهذه الحجة تكشف عن نتيجة ضمنية، ضعف الدولة الأموية فحتى الضباع تقهرهم وبعض الشراح يقولون ربّما المراد بالضباع هنا أبو مسلم الخراساني وجيشه حيث كان في بداية أمره أضعف خلق الله، والمعنى إن دولة الأمويين تبقى حتى يختلفوا فيما بينهم، وعندئذ يسلبهم الملك، ومن هذه الحجج نحصل على النتيجة هي (هلاك دولة الأمويين)، ويدعم هذه النتيجة قوله (عليه السلام): «**ستقبل الدنيا على بني أمية، ثم تدور عليهم فتطحنهم بكلكلها حتى لا ترى منهم باقية**».

الخاتمة

خطاب الإمام(عليه السلام)، لا يتوقف عند حوار أعدائه، بل يتجاوز إلى حجاج أتباعه، فالحجاج في الدراسات الحديثة يعني الحوار الإقناعي وهذا الحوار لا يختص بالأعداء بل يتعلق فضلا عن ذلك بالأتباع؛ لأن الإمام (عليه السلام) في كلا الحالين يناقش أطروحة ما مستهدفا إمَّا تثبيتها وإمَّا نقضها وترسيخ أخرى، ولا يجعل اهتمامه ينصب على الجمهور أو الشخص المتلقي إلا بالمقدار الذي يقتضيه المقام، فحتى في الحجاج الموجَّه إلى أتباعه أو الجمهور (المحايد) كان يتصدى لما يطرحه الآخرون من أفكار، أو يؤسس لأطروحات

تتعلق بالحكم أو علاقة الإنسان بربه وبالمجتمع الذي يعيش فيه، فهذه المباحث كلها تدخل في صميم عملية الحجاج، والحجاج بهذا المفهوم هو أوسع نظرة من الجدل المختص بالخصومة.

إن الشروط التي ذكرها اللسانيون للوقوف على حجاجية النص تتطابق على نحو كبير مع خطاب الإمام (عليه السلام)، فانطلق من مقتضيات الحال ومن المعارف المشتركة في محاولته إقناع الجمهور واستعمل أدوات اللغة بما يخدم هذا التصور، وبناء على ذلك كانت الروابط المستعملة ذات دلالة واضحة يفهمها الجمهور، كما أنَّ من صفات الحجاج الناجح، هو الادعاء بالحقيقة وتقديم الأدلة التي تدعم ذلك الادعاء، لذلك كان حجاج الإمام (عليه السلام) يتصف بالقوة في اعتماد أقوى الحجج والنتائج.

الهوامش

(١) ينظر: اللغة والحجاج: ٢٧.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة: ٥٩١.

(٣) ينظر: النحو الوافي: ٣/ ٦٣٢.

(٤) شرح المفصل: ٨٠.

(٥) ينظر اللغة والحجاج: ٥٨.

(٦) ينظر: المقتضب: ١/ ٥.

(٧) معاني الحروف: ٦.

(٨) اللغة والحجاج: ٦١.

(٩) اللغة والحجاج: ٢٧.

(١٠) المصدر نفسه: ٧٣.

(١١) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة: ١٣٥.

(١٢) ينظر العوامل الحجاجية في اللغة: ١٢٤ -١٣٣.

(١٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٤.

(١٤) الجنى الداني في حروف المعاني: ١٠٩.

(١٥) الجنى الداني: ١١٤.

(١٦) شرح المفصل: ٤/ ٥١٣.

(١٧) النص والسياق استقصاء في الخطاب الدلالي والتداولي: ٨٣.

(١٨) ينظر: الحجاج في المثل السائر لابن الأثير: ٩٣.

(١٩) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ١٥٣.

(٢٠) ينظر: عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٦: ٨٢.

مصادر البحث

• الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي (المتوفى: ٧٤٩هـ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط١، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م.

• شرح المفصَّل: موفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٦هـ)، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

• شرح نهج البلاغة: عز الدين بن هبة الله بن محمد، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧م.

• عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٦ .

• العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د. عز الدين الناجح، ط١، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس- تونس، ٢٠١١م.

• اللغة والحجاج: د. أبو بكر العزاوي، ط١، دار الأحمدية للطباعة، الدار البيضاء- المغرب، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

• معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرمانيّ (ت ٣٨٦ هـ)، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقيّ، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م).

• المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

• النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة (١٩٧٤م).

• النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدَّلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.

رسالة ماجستير

• الحجاج في المثل السائر لابن الاثير، نعيمة يعمرانن، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م.